الباب الثانى

ما يميز حماس عن غيرها

تميزت حركة المقاومة الاسلامية حماس عن غيرها من حركات المقاومة بمميزات جعلتها تصعد سريعاً فى مجال المقاومة وتحصل على تأييد شعبى جارف فى انتخابات المجالس التشريعية فى فلسطين على الأغلبية ولقد تمثلت هذه المميزات فى :

1- الإسلام الوسطي واعتدال الخطاب الإسلامي

مثّلت حركة المقاومة الإسلامية حماس إضافة مهمة إلى الساحة الفلسطينية، فكانت امتداداً لنضال الحركة الإسلامية في فلسطين المسلوبة، وامتداداً لدور جماعة الإخوان المسلمين لكن الخروج الجديد لحركة المقاومة،التي تنتمي للوسطية الإسلامية، ولمدرسة الإخوان المسلمين، مثّل في الواقع عملية إنقاذ للقضية الفلسطينية فقد ظهرت حركة حماس في اللحظة التي بدأ فيها الإعياء يلحق بالمناضلين من حركة فتح، وبدأت بعض الحركات الفلسطينية تتجه صوب التعامل مع الواقع وقبل مسيرة تسوية الاستسلام، ظهرت حركة حماس لتعيد تأكيد وتأسيس العمل المقاوم،والذي يمثل جوهر الحل لمشكلة الاحتلال الصهيوني لفلسطين وقدّمت الحركة منذ بدايتها، جناحها العسكري، وجناحها السياسي، وكانت بذلك مدركة حجم وأبعاد المعركة وفي الوقت ذاته قامت بتربية وتكوين الكوادر، وهو ما يعني إدراكها لأهمية بناء الأمة، وبناء القاعدة الاجتماعية الصلبة، التي تؤيد المقاومة، والمشروع

الإسلامي لحركة حماس، شأنها في ذلك شأن مدرسة الإخوان المسلمين، وترى أهمية العمل التربوي والدعوي، والعمل السياسي، وأهمية مقاومة المحتل بالسلاح لهذا استطاعت حركة حماس أن تبني مشروعاً على الأرض، وتبني له حاضنة اجتماعية متّلت في الواقع سند حقيقي للحركة وللمقاومة وبهذا تشكّل على أرض الواقع، ليس مجرد حركة مقاومة، بل واقع اجتماعي مقاوم وهذا الواقع هو الذي مكّن الحركة من الاستقرار والاستمرار في المقاومة،والدخول في العملية السياسية، وتحمّل الحصار الذي تبع فوزها بالأغلبية في المجلس التشريعي وتشكيلها للحكومة. وبهذا الحاضن الاجتماعي استطاعت الحركة حسم الأوضاع في غزة عسكرياً، كوسيلة مؤقتة لحماية المقاومة، وجعل قطاع غزة ملاذاً آمناً ويصبح واجباً عليها العمل من أجل تأسيس توافق وطني سياسي، يحتضن المقاومة، ويدير شؤون الشعب الداخلية فالتحدي الأكبر أمام الحركة هو عرقلة انفراد السلطة الفلسطينية ـالمنتظمة لعملية التسويةـ بالساحة من أجل عرقلة وتصفية عملية المقاومة.

وعلى حماس أن تدرك ذلك جيداً، وليكن هدفها الأساسي هو استمرار المقاومة وحمايتها، وحماية شعب فلسطين الحبيب، وحل مشكلاته إذا فعلت ذلك تكون قد حددت اتجاهها في قراراتها المستقبلية.

يقول أسامة عبد الحق؛ مدير مركز المستقبل للتوثيق والإعلام، لقد نجحت حركة المقاومة الإسلامية حماس منذ انطلاقها قبل 20 عاماً، في

أن تصبح رقماً صعباً على الساحتين الداخلية والخارجية، وأن تجبر الدول الكبرى على ضرورة الاعتراف بها، والتحاور معها والعوامل التي مكنتها من ذلك،تأتي في مقدمتها قدرتها على تقديم خطاب إسلامي معتدل، يوافق عقيدة الجماهير، وهويتهم مما مكّنها من الانتشار والتغلغل بسرعة كبيرة بين أبناء الشعب الفلسطيني، الذين آمنوا بفكرها وسياستها في العمل الجهادي المقاوم، ما جعلها كلما تعرضت لأي محنة تتعافى منها سريعاً لتعود أقوى من ذي قبل.

وبهذا فإن حماس على مدار 20 عاماً، استطاعت أن تبني جسوراً من الثقة والمصداقية، والتفاهم بينها وبين أبناء الشعب الفلسطيني، ما جعل من الصعوبة محاصرتها وتصفيتها. وفي المقابل كان ذلك أدعى لأن تحافظ على ثوابتها، برغم كل الضغوط الداخلية والخارجية التي مورست وتمارس عليها للتنازل عنها.

2- ضبط النفس والمصداقية العالية

عند تقديم أداء حماس لابد من استخدام معايير واقعية، تنطلق من واقع الحركات الإسلامية بأسرها: السلفية، والجهادية، والسياسية؛ لأن البعض يستخدم معايير مثالية لا أساس لها من الواقع، فيظلم الحركة ويرهق أنصارها في مجال ضبط النفس على سبيل المثال،رغم أن الحركات الإسلامية يمكنها الاستفادة من أداء حماس بدلاً من توجيه النقد

إليها فكثير من الحركات تعجز عن ممارسة ضبط النفس في أدائها، فتتسبب في مشكلات وأزمات يتعرض لها العمل الإسلامي برمته سنوات طويلة، وعلى الجانب الآخر تمارس حركات أخرى ضبط النفس إلى الحد الذي يجمدها ويحولها إلى كتلة فاقدة التأثير والتأثر.

أما حماس، فإن الجميع شهد لها بممارسة مستوى عالٍ من ضبط النفس، وحقن الدماء، وتجنب الفتنة سنوات عديدة ورغم وجود جناح عسكري للحركة، فإنه لم يتدخل أبداً لوقف عمليات الاعتقال والتعذيب والإهانة، التي نالت الصف الأول من قيادات الحركة، فضلاً عن الصفوف التالية، ولم يتدخل أيضاً في مواجهة الخيانة المستمرة لعناصر أجهزة الأمن التابعة للسلطة، ثم الرئاسة فيما بعد، التي كانت تتعاون مع قوات الاحتلال في تصفية عناصر حماس إبان الانتفاضة.

لكن عندما وصلت حماس إلى مستوى من القوة، ووصلت الخيانات إلى درجة لا يمكن السكوت عليها، أصبح ضبط النفس في هذه الحالة حماقة لا يمكن ارتكابها وفي معرض حديث الأستاذ الدكتور عبد الوهاب المسيري؛ حول موقف الدول العربية تجاه حركة حماس في ظل الضغوط الكثيرة التي تمارس على العمل الإسلامي بشكل عام، وعلى حماس تحديداً، وفي ظل توجه هذه الدول لإبرام اتفاقات تسوية مع إسرائيل، يؤكد أن الضغوط الأمريكية على الدول العربية ليست جديدة، وبالتالي فإن حماس لم ينته وجودها عربياً كما أن الدول العربية جربت العلاقة

مع حماس، ووجدت أنها حركة محترمة لها مصداقية عالية، حصرت معركتها ضد الاحتلال الصهيوني، ولم تنشغل بأية معارك جانبية، ولم تسئ إلى الأمن أو المصالح العربية والإسلامية كما تأكد للدول العربية أيضاً أن وسائل التسوية لم تنجز شيئاً، والمطالب العربية لا تزال مرفوضة إسرائيلياً وأمريكياً، بالتالي فلا مصلحة للدول العربية مهما كانت الضغوط الأمريكية في أن تسيء إلى حماس أما الواقع، فرغم الضغوط الأمريكية والممارسات الصهيونية مازالت حماس موجودة، وهناك قيادات في دول عربية عديدة تحترم حركة حماس، وتلتقي مع قياداتها رسمياً، ويدور الحديث عن الهم الأساسي، وهو دور الأمة العربية والإسلامية في مواجهة المشروع الصهيوني الذي يشكل خطراً على مصر رغم كامب ديفيد، وعلى الأردن رغم وادي عربة، وعلى سوريا التي يحاول الصهاينة تأليب العالم ضدها، وعلى كل بلد عربي مستهدف لذلك فإن من مصلحة الدول العربية أن تكون مع حماس، وأن تقف معها، لأنه لا يفل الحديد إلا الحديد، ولا يضع حداً للعربدة الصهيونية إلا القوة. فليس من مصلحة مصر مثلاً أو الأردن أو سوريا أو أي بلد عربي، أن تنتهي حماس لا سمح الله، ويتفرغ الصهاينة لمد نفوذهم وهيمنتهم ومؤامراتهم على هذه الدول.

إن المصلحة السياسية العربية حتى للحكام أن تكون حماس، وتبقى

واقعاً مهماً في الساحة العربية، أما دورها المستقبلي، فسيكون أعظم من دورها الحالي، وما لم تقدر عليه اليوم ستقدر عليه غداً بإذن الله.

3-الوعى بالأحداث والمرونة مع الحفاظ على الثوابت

ان مدى تكيُّف حماس مع الواقع السياسي، في وقتٍ تمكنت فيه من المحافظة على ثوابتها الدينية والوطنية، بل ومع ذلك تمكنها من فهم قواعد اللعبة السياسية، رغم حداثتها، بل ووفقاً للآليات الغربية المطلوبة لممارسة العمل السياسي على أسسٍ ديمقراطيةٍ لا تقبل التشكيك فان ما حققته حماس في وقتٍ قياسي من تأسيسها ومن تجربتها الأولى، أثبت أنها كانت أكثر واقعية ووضوحاً من شعبها وأمتها ومن الأنظمة العربية التي يحكم بعضها منذ عقود، واعتبر قبولها بمجرد الدخول في العمل السياسي عبر الممارسة الديمقراطية العالمية نجاحاً يحسب لها وفوز حماس في الانتخابات وتجربتها القصيرة، ونجاحها النسبي بإمكاناتها المتواضعة، كشف زيف الادعاءات الغربية والأمريكية، وأطروحاتهم عن الديمقراطية المزعومة، وكشف عن مدى تناقضهم وجديتهم في تحقيق الديمقراطية ووقوف الغرب وأمريكا ضد تجربة حماس، يتجاوزها كحركة فلسطينية، ليكشف عن عدم رضاهم وعن استحالة تقبلهم لأي نظامٍ إسلامي حاكم، فلقد كشفت حماس القناع الحقيقي لأعداء الإسلام

وفضحت نواياهم تجاه الحكم الإسلامي بكافة توجهاته متى وأين وجد؟ حتى وإن جاء عبر الآلية التي يسوقونها0

وعن مدى نجاحها في التوفيق بين ما حملته من شعار يد تبني ويدٌ تقاوم يقول الدكتور الظاهري المحلل السياسى اليمنى حماس أصلاً نشأت جهادية، في وقتٍ كان غيرها يشغل مسؤولية بناء الدولة لكنها أصبحت مدعوة بموقعها لأن تعمل وتسعى للتوفيق بين هدفها الأساسي الذي قامت من أجله، وبين الهدف الذي فرضه عليها موقعها الجديد وأثبتت حماس نجاحها في العمل السياسي ويبدو ذلك من قبولها المرحلي بدولةٍ في حدود يونيو1967، لكنني نتمنى ألا يطغى انشغالها بالحكم والسياسة ، على هدفها الأساسي والأسمى وهو المقاومة.

الدكتور الظاهري أكد على أن حماس لو امتلكت الإمكانات والدعم الكافي لصنعت من السلاح ما يعجز العدو عن صده، واستشهد بصنعها لصواريخ القسّام ومراحل تصنيعها، رغم تواضع الإمكانات تفعل ذلك لمواجهة دولةٍ تفوق الدول العربية مجتمعة في مخصصات التصنيع والبحث العلمي، فكيف إذا امتلكت الإمكانات، ووجدت الدعم، إنها بذلك تؤكد إدراكها العملي لما تقتضيه المواجهة، وإدراكها لطبيعة متطلبات المعركة.

ويرى السياسي اليمني أيضاً أن حماس فضلاً عن فضحها للأنظمة

الغربية، في التعامل مع الديمقراطية الحقيقية، فإنها فضحت الأنظمة العربية ومدى تقبلها أيضاً للتجربة الإسلامية في الحكم، كما أنهم أثبتوا بعجزهم عن التصدي للحصار المفروض على فلسطين عموماً وعلى غزة أنهم غير جادين في الدفاع عن القضية الفلسطينية التي يزعمون أنها قضيتهم والأولى وحماس جُرّت للأحداث الدامية جراً، رغماً عنها، ونجحت حركة المقاومة في أن تضرب خير مثالٍ واضح لمدى إمكانية تقبل الحركة الإسلامية لتفاعل آليات العمل السياسي بمعناه الأشمل، ومدى مرونتها مع آليات الديمقراطية الليبرالية القادمة من الغرب .

4- قوة الأهداف والنجاح السياسي والاجتماعي

ان حماس ولدتها ظروف الحالة الفلسطينية، وحاجتها لوجود من يضع حداً للانتهاكات الصهيونية الاستيطانية والعدائية، تجاه كل شيء في فلسطين حتى الأشجار.

وحماس تستمد قوتها من قوة أهدافها وغاياتها، كيف لا وقد أسسها رجالٌ اتخذوا من الجهاد وسيلة لتحرير أرضهم من دنس المحتل الغاصب، وجعلوا من المقاومة طريقاً لبلوغ الشهادة في سبيل الله، رجالٌ نذروا أنفسهم للدفاع عن كرامة الأمة، وبذلوا الأرواح رخيصة للذود عن مقدساتها الشريفة وفي مقدمتها الأقصى الشريف وحماس ضربت أروع الأمثلة في حسن التدبير والشفافية والتضحية لخدمة شعبهم، ضربت

قياداتها أروع الأمثلة في نكران الذات وبذل الغالي والنفيس من المال والنفس في سبيل وطنهم وغاياتهم السامية حتى خلعت على شهدائهم في بعض الكتابات مصطلح صحابة القرن الواحد والعشرين وحماس اليوم بعد عشرين سنة شجرة كبيرة متشابكة الأغصان أينع ثمرها من بعد أن شقت الصخر، فحماس كانت انطلاقة وجذوة الانتفاضة الأولى، وقد أشعلت جذوة انتفاضة الأقصى المسلحة، حتى طردت المحتل من قطاع غزة ورحل مجرم الصهاينة شارون، وتفوز في الانتخابات وتجمع بين المقاومة والسلطة0

5- الحفاظ على وحدة الاتجاه ومواجهة حروب القريب والغريب

بوصلة حماس تتجه دون انحراف نحو تحقيق أهدافها وتمضي قدماً نحو التحرير، كلمات أصدق من أن تكون مجرد حوار سياسي وإعلامي رغم أنهم اختلفوا فى اختيار الكلمات إلا أنهم اتفقوا فى المعاني التي تحملها قلوبهم الصادقة وثقافتهم الواسعة ونظرتهم الثاقبة لما يبصروه من سلوك حركة المقاومة الإسلامية حماس عبر مسيرتها منذ عشرين عاماً فحركة حماس استطاعت أن تحافظ على اتجاه بوصلتها مما جعلها عصية على الاجتثاث والاقتلاع،وعصية على الإغراء والإغواء، والتهديد والوعيد، لم تلن لها قناة رغم أن رأس حربة خصومها الإدارة الأمريكية والكيان الصهيوني،وجَيّشا معهما العالم الغربي الظالم، وبعض

الأنظمة العربية والإسلامية، إضافة إلى جهات داخلية متآمرة ضدها ومازال أمام حماس تحديات ضخمة يشفق كل غيور عليها منها، وربما يتوقع من لا يعرفها أن تنحرف بوصلتها، بل ويخطط خصومها ليل نهار للقضاء عليها وعلى بوصلتها.

إن من عرف حماس عن قُرب ومن يدرس تاريخ حماس من الولادة حتى عشرين عاماً يدرك أنها بفضل من الله تعالى أقوى من الصعاب مهما كانت لأنها تعتمد على الله تعالى، ولكونها تدافع عن حقها، ومعها أغلبية شعب الإسراء والمعراج، تعد وتطور ما تملك من سلاح وعتاد ليكون القوة الرادعة والحامية للحق الذي تحمل.

الكثير من أبناء الشعب الفلسطيني لم يتعرف على حقيقة الثوابت ومعناها إلا عن طريق حماس إذ أنه لم يبق ثابت من الثوابت الفلسطينية ثابتًا عند بعض الفصائل الأخرى،فالثابت لديهم هو استمرار التنازل عن الأرض والكرامة،بينما حماس حافظت على الثوابت ولا أمل لدى الصهاينة وحلفائهم في تخليها عن ثوابتها.

واتجاه حماس بعد تجربتها يمكن تقسيمه إلى أربعة أجزاء متنوعة حسب الأنشطة التي قامت بها الجزء الأول الذي يتعلق بالأمر التنظيمي، حيث إن حركة حماس أقامت لها تنظيماً واسعاً في المناطق الشعبية، كان منطلقه المساجد أساساً، واعتمدت على نواة غالبيتها من ذخائر المتعلمين والثاني يتعلق بالجانب التربوي، فقد اهتمت الحركة بالجمهور

العام عن طريق أئمة المساجد،فتوجهت إلى الأجيال الصاعدة في المجتمع الفلسطيني من خلال تخصيص رواد شبان ليعتني كل منهم بعدد من الفتيان في المساجد وغيرها، وتثقيفهم بحفظ القرآن وتربية أبدانهم وأرواحهم، والمثابرة وبرمجة حياتهم اليومية.

وحينما كانت الأجهزة السرية المعادية تعمل بشكل ممنهج على غسل أدمغتهم بالمفاهيم السياسية المزيفة وبإسقاطهم مسلكياً وتغريبهم عن المجتمع، فإن قيام حماس بعمل مضاد في الوقت المناسب كان إنجازاً وقائياً لا يُقدر بثمن.

6- تجديد الثوابت وكسر الاحتكار والصمود والتعبئة

يرى القيادي أبو ليلة أن حماس استطاعت أن تجدد الثوابت الفلسطينية بعد أن أضاعتها منظمة التحرير،وأن الله سخّر حماس للقضية الفلسطينية حتى تحافظ وتتمسك بالثوابت التي تراجعت عنها منظمة التحرير، وعملت على إلغاء ميثاقها الذي يقضي بمحاربة اليهود، مستدركاً بالقول حماس لن تتنازل عن أي من الحقوق لشعبنا، وتتمسك بأرض فلسطين من البحرإلى النهر وأن من نقاط النجاح التي سجلتها حماس على مدار تاريخها إعادة القضية الفلسطينية إلى أبعادها العربية والإسلامية بعد محاولات الكيان الصهيوني تقليصها على المستوى الفلسطيني وجعلها صراعاً فلسطينياً يهودياً فقط، بعد أن كادت تتلاشى

وتنتهي في أعقاب اتفاقيات كامب ديفيد التي وقعها السادات وسجل المحلل السياسي وليد المدلل العديد من النقاط التي نجحت حماس في ترك بصماتها على القضية الفلسطينية من خلالها ولعل من أبرزها كسر الاحتكار الذي ساد الحياة الفلسطينية سواء الاقتصادية أم السياسية،وإعادة البعد الدولي حيث أصبحت العديد من الدول والمحافل الدولية تنضم إلى القضية الفلسطينية،إلى جانب إعادة الاعتبار للمقاومة الفلسطنية التي كانت مستهدفة وتعتبر غير شرعية قياساً بالتزامات السلطة الفلسطينية مع الكيان الصهيوني.

7- تغيير مسار المقاومة

حققت حماس إنجازاً ونجاحاً كبيراً في تعديل المسار السياسي والتأثير فيه، خاصة فيما يتعلق بالثوابت الوطنية والاعتراف بالكيان والمفاوضات وإصلاح منظمة التحرير والانتخابات والعلاقات الدولية فعلى صعيد الثوابت قامت فلسفة حماس على عدم التفريط فى الحقوق الفلسطينية التي تتعلق بالأرض واللاجئين والقدس، حيث مثّلت حماس، الثابت الواضح بعد أن ضاعت الثوابت وباتت أقرب إلى الميوعة وغير معروفة للشارع الفلسطيني،في ظل اتفاقات التسوية المتعددة وتورط منظمة التحريروحركة فتح فى جزئيات تتعلق بمسألة التعريف بالقرارات الدولية والاتفاقيات.

وتميزت حماس في قضية الثوابت بتبني منهج فكري يمكن أن يحمي أي منهج سياسي،وتمسكت حماس بالثوابت في إطار منهج فكري وإيماني يداعب التاريخ الإسلامي والقرآن الكريم والبطولات والملاحم التي خاضها المسلمون على مدار التاريخ،وأن أرض فلسطين أرض وقف إسلامي ومقدسة لا يمكن التفريط فيها وحافظت على ثوابت الشعب العربى فى فلسطين ورفضت بكل وضوح اتفاقيات أوسلو التي تم من خلالها التنازل عن الثوابت وثلاثة أرباع أرض فلسطين.

وجسدت حركة حماس بشكل واضح بعد التعبئة من خلال بياناتها في انطلاقها الأول، حيث مرّت بعدة محطات وكانت أولى هذه المحطات ما يسمى بالتعبئة والوقاية الفكرية في مسألة العلاقة باليهود وإسرائيل من خلال البيانات واستخدام المصطلحات الفكرية مثل أرض فلسطين التاريخية والإسراء، مستعينة بالآيات القرآنية التي تحث على الجهاد واعتبار اليهود أشد عداوة للناس، فيما تمثّلت المحطة الثانية فى إحداث توازن في التعبئة بين الثوابت الإيمانية والأهداف والثوابت السياسية وعملت على تأصيل مضادات فكرية وإيمانية في العلاقة مع اليهود ورفع منسوب الإيمان لدى الشعب الفلسطيني وإعادة الاعتبار للأرض الفلسطينية وتعريف فلسطين،وهو ما فشلت فيه حركة فتح التي اعترفت بوجود الكيان على أكثر من 70% من أرض فلسطين، دون أن تعترف دولة الكيان بالوجود الفلسطيني،ولا حتى بالجرائم والكوارث التي

ارتكبتها فى حق أبناء فلسطين واستطاعت أن تصمد أمام الضغوط الدولية لإجبارها على الاعتراف بالكيان الصهيوني وبات العالم يدرك أن حماس تمثل القوة والصوت الحقيقي لشعب فلسطين، وأنه بدون اعترافها بالكيان الصهيوني سيكون أمراً خطيراً.